

غادة بابل

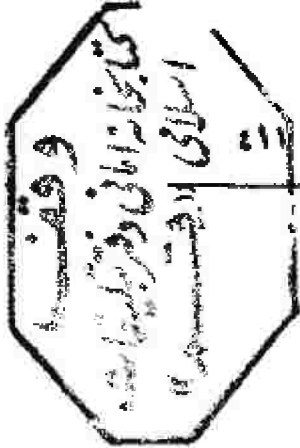
La Belle de Babylone.

— ٣ —

هب يروس من رقادة وهو يكذ الفكرة في ايجاد الحيل واختراع سبل الخدع للايقاع بشمشو تغلصا منهوقا للخطط التي وضعها له تنو أمة السوء والحيانة الظاهرة . فمر بالهيكل ودخل القسم المخصص بتسجيل العقود فرأى التجار والزراع والصيارفة والملاكين والرعاة والسامسة متألين جماعات جماعات أمام الكهنة الكتبة لتسجيل عقود البيع والشراء والرهن والكفالة والقروض والايجار والرابعة وغيرها . وكان الكتبة يدونون هذه العقود على رقم من طين يخطونها عليها بقلم من حديد بالخط السامري يوقع عليها المتعاقدون او يجمعونها يجمعون ويشهد عليهم شهود وبين المتعاقدين رجال ونساء .

فهنالك من كان يسلف الدراهم على الحصاد المقبل على الحنطة والشعير والذرة والسهم والقطن والتمر والصوف يربا يتر اوح بين عشرين بالمئة وثلاثة وثلاثين وثلاث بالمئة . اما ربا قروض الدراهم فيتر اوح بين خمسة ونصف بالمئة وخمسة وعشرين بالمئة . وبين الناس من كان يعقد الشركات للقيام بالتجارة مع بلاد اشور ونائري وماذي وعيلام وفنيقية ومصر . ومن كان يؤجر دارا ومخزنه ومجراثم وثورة وحقله ومرجس . ومن كان يبيع اموالا منقولة وغير منقولة او يبيع العبيد والاسرى بن حتى الاولاد

وكان الوسطاء والسامسة يتفتنون في اقناع المتعاقدين ويبنلون جهودهم لتسوية كل الاختلافات التي قد تحول دون اتمام بعض العقود . فتقوم احيانا ضجة عظيمة بين البائع والشاري او الراهن والمرتهن او المؤجر والمستأجر ويتدخل في امرهم الحاضرون لحسم النزاع وكثيرا ما يخرج الاختلاف عن نطاق المفاوضة الى العياط والتابذ في الكلام والسب والشتم . ويحاول كل



واحد ان يقص على السامعين احاديث طويلة عريضة ليقتنمهم انه محق وان خصمه مجحف بحقوقه يريد ظلمه .

وكان بين المتعاقدين اجيبي الصراف الشهير بثروته وعقوده العظيمة فتقدم الى الكاهن المسجل ومعه رجل آخر واخذ يملي على الكاهن شروط عقد عظيم يتضمن مواد عديدة :

١ — قرض عشرين جورا من الخنطة بفائدة تسعين « كا » على كل « جور » (١) .

٢ — قرض احدى عشر « جورا » من الثمر بفائدة اعتيادية على كل « جور » (٢) .

٣ — مبيع عشرة « جانات » من ارض الزراعة بقيمة خمسة وعشرين شاقلا فضة (٣) .

٤ — قرض « منا » من الفضة بفائدة شاقل واحد عن كل خمسة شاقلات (٤) .
فهنا حدث اختلاف بين الصراف والتاجر المعاهد على بعض شروط هذا العقد ومهما حاول بعض الحاضرين ازالة ذات الين منهما بقيت الحالة متوترة وفق الخصومة لم يرتق بل زاد اتساعا . فتقدم ييروس وتظاهر بانه رسول اله الصلح والسلام ومرهم لتضديد جروح النزاع والخصام . اخذ اجيبي على جانب وخاطبه بصوت خافت وهو يحرك يديه ويقطب حاجبيه ويغمز بعينه فمز اجيبي راسه وخاء قانعا بما اوحاه اليه الكاهن ييروس . ثم تقدم ييروس من التاجر الآخر وهاسس في اذنيه ببعض الالفاظ . والجمع ينظر الى النتيجة واذا بالطرفين قد رضيا بفسخ العقد والفائز عن طيب خاطر . فدهش الناظرون من الكاهن للباقة وقوة تأثيره في الخصمين وتحدث بذلك اهل المدينة .

دار الكلام بين ييروس وبين اجيبي عن قرض دراهم اشمشو وعقد شركة (١) الجور يساوى ٣٦٠ « كا » وعليه يكون معدل الربا ٢٥ بالمائة .

(٢) الفائدة الاعتيادية تطلق على ٢٥ بالمائة على حد ما نقول نحن الفائدة « النظامية » و تعنى تسعة بالمائة .

(٣) « الجان » يساوى ٢٥ عقارا (اكرا) .

(٤) كل « من » يساوى ٦٠ شاقلا والشاقل يساوى نصف دولار اميركي في يومنا هذا .

معها للتجارة والمقايسة بين بابل واشور وبلاد نائري. فسخر يروس بلاغته وميانه وعلمه وثقافته واقتان خدعه واساليب مينة لاقتناع اجيبي صاحبه وحله على هذا فكان تارة يطري مقدرة شمشو الشاب وامانتهم ونزاهته وطورا يفيض كلاما في وصف الريح المنتظر من هذه التجارة ويسرد امثالا عديدة ويعدد اسماء تجار بدأوا باسفارهم الى البلاد الغربية برووس اموال قليلة فوافقتهم ريح الحظوظ وكسبوا مكسب طائلة وهم اليوم من اصحاب الثروات العظيمة والاملاك الواسعة والمقارن المترامية الاطراف . ثم يرجع مرة فيكلمه عن الضمان الذي يأخذ من شمشو عن المال الذي يقرضه وعن الربا الذي يتقاضاه منه عن الدين إلى نتيج التجارة . وقصارى الكلام زين له العمل واظهره رابحا من جميع الوجوه .

ولما توسم فيه امارات التردد زاد على كلامه قائلا : « ان حدثتك نفسك بخوف يا اجيبي وخشيت عواقب عملك فما لك إلا ان تدخل الهيكل الآن وتستشير الالهة . فدخل كلاهما واخذ يروس قتيعة فيها زيت مقس وبعد ان قام بقراءة الدين صب بعض قطرات من ذلك الزيت في حوض ماء واخذ ينظر في الاشكال التي احدثتها تلك القطرات وصور انتشارها على وجه الماء فتعق حسن العاقبة فافضى به الى اجيبي وهدأه عن حسن المال . فما كان من صرافنا إلا النزول على ارادة الكاهن الكلداني .

فسر يروس كل السرور لقطعه الخطوات الاولى من سبيل تديره الشيطاني وذهب لساعته الى شمشو واظهر له من عواطف الحب والاخلاص ما حمله على الاعتقاد ان الرجل يبذل مساعيه ويسخر ماله من الحول والقوة لتشييد صرح مستقبله على اسس مكينة . وبعد ان ساد السكوت بينهما هنية قل يروس: لماذا لا تتعاطى التجارة ؟

شمشو - انت تعلم انني خسرت خسارة عظيمة بفقداني غلات اراضي في منة الفرق اذ فاض الفرات وسالت المياه في المزارع والحقول وجرف السيل كل ما كان في طريقه من نبات وحيوان و انسان وخرب الجداول والترع وطمأها بالفريل . ولم تقف تكبتي عند هذا الحد بل ان الفرات خرج

من عقيقته وغير مجراة فأصبح اليوم بعيدا عن الأراضي التي ورثتها من ابي وبعد ان كانت مشهورة بخصبها وسهولة ريعها غنية بفلاتها صارت قاعا بلقما وخرابا يبابا ينق فيها اليوم والغراب . فلا مال لي لاحياء تلك الأراضي وجر المياه اليها . ولا عندي منه ما يكفيني لاستمير بها على التجارة .

بيروس - لقد فاضت بهذا الامر اجيبي الصراف وحسنت له عواقبه . فتردد عن قرصك المال اللازم لتجارتك . بيد اني أقنعهم بان تعقد شركة بينكما بشروط تقرراتهما . فتذهب ببضائع وتجارات الى بلاد اشور ونائري .

شمشو - الى بلاد نائري ؟ هذه شقة بعيدة واسفار محفوفة بالمخاطر ولاهوال فليست من المجازفين بالحياة . إنما اوافق على المتاجرة بين بابل واشور فقط فهل يرضى اجيبي بذلك ؟

بيروس - لست سمسارا وما توسطي بهذا الامر إلا لخيرك ، فما الذي يوقفك عن السفر الى بلاد نائري . هذا طريق تجارية يسير فيها تجار بلاد اشور فتكر عليهم بالخيرات والارباح . فاذا قمت برحلتين بين بابل ونائري تربح مالا وافرا يفتيك عن الشركة مع اجيبي . (وقف قليلا عن الكلام وهو مطرق ، ثم استأنف حديثه قائلا) : وما ذا تفكر فيك حترآ . بنت ذلك الصراف اذ ترى شابا في مستقبل العمر قوي البنية يخشى السفر الى بلاد نائري ألا تقول فيك انه جبان وعديد ؟

شمشو ومن اين تعلم ذلك حترآ . ؟ وما لفظ اسم حترآ . إلا اضطربت شفقتك مرتمشتين . كأنهما وتران تحتويشمة المطرب .

بيروس - كانت تسمع حديثي مع ايها . واذا رجعت اليه بهذا الجواب صفرت في عينها فتعلت بالموضوع بنات المدينة وهو امر لا ارضاه لك وشغل علي شيوعه بين القوم .

شمشو فشكر شمشو عناية الكاهن به الابوية ورضي باقتراحه ووعده بملاقاته الصراف في القريب العاجل لتكوين العقد . وتوادعا على هذه الغاية وكل

منهما فرح بهذه الصفقة التي يظنها رابحة له : يبروس يعزل النفس بالاماني الطبية للتخلص من حبيب حبيبته وشمشو يعتقد ان هذا التدبير يقربها من حترآء ويمنحها له المقبات للزواج منها .

كثف اليوم التالي موعد الملاقاة بين اجيبي وشمشو فتم الاتفاق بينهما وتوجها الى الهيكل لتسجيل العقد امام « المشيكم (١) » وهذا نصه :

شمشو بن نجبو قبض عشرين منفضة بفائدشاكل واحد عن سبعة شواقل من اجيبي الصراف للتجارة مع بلاد اشور ونائري والربح مناصفة بين المتعاقدين .
من اربام بن جزئشاك : تار ميدو بن اروماكل : ازاك انينا بن لول تشبور .

شهود .

امام المشيكم شراني بن سابو .

في اليوم الخامس والعشرين من شهر اذار وهو السنة الاولى للملك شمش موجين .
وختم هذا كل من المتعاقدين والشهود بختوم . احدها من العقيق على شكل اسطوانة مثقوبة من الطرف الواحد الى الطرف الاخر وقد نظمت في خيط .
والثاني من اللازورد والاخر من اليشب والاخر من حجر دم الاخوين اما ازاك لول تشبور فلم يكن عنده خاتم قاتى ووضع علامة راس ظفر اصبعه في صفحة العقد عوضا عن الختم .

وكان على خاتم العقيق اسم اجيبي وعليه صورتا الالهين متقابلين الواحدة بازاء الاخرى وقد مد كل منهما يدا لتقبض على انبوب يمس بها شرايا من قدح وضع على مائدة مرتفعة . وكانت هاتان الصورتان صورة اله القمر « سن » ورفيقته نجل . وكانت صورة الاله شمش مع اتباعه الالهة منقوشة على خاتم شمشو مع اسمه واسم ابيه . وكانت صورة البطل جلجمش يهارع اسدا محفورة على خاتم احد اليهود وصورة خلائق مجنحة امام شجرة الحياة على خاتم الشاهد الثاني .

(١) الموظف الذي يسجل العقود وقابله اليوم عندنا « كاتب العدل » .

شاع خبر هذا الممد وتحدث به الناس في اللادنية والبيوت واثت الجارات
واخبرت ريماء وابنتها شميرام بقرب سفر شمشو التماكر (١) فبقيت شميرام
بين مصدقة ومكذبة هذا النبا الذي ثقل وقعه على اذنيها وقلبيها وحسبت له الف
حساب وكانت تنتظر بصبر جميل قدوم ابن عمها لتغف على جليلة الامر ولما
استبطأت دعت نجيته نثو وقالت لها اذهبي الى بيت عمتي وايتيني بالخبر اليقين
عن سفر شمشو الى بلاد اشور ونائري ، واذا رأيت ابن عمتي ادعيه الي .
فذهبت نثو وعرجت في طريقها على بيت يروس فلاقها الكاهن وهو مستبشر
بتجاح السيسة واكد لها حقيقة الامر واوصاها بكتمان السر ووعدها بالهيل
والهيلمان واعطاها نباتا تجهلها وقال لها : دسي هذا النبات المقدس السحري
خلسة في الزاد الذي تعده سيدتك لابن عمتها . ففي هذا النبات قوة سحرية
تقصي قلب شمشو عن حب شميرام الى الابد لا بل تولد فيه بغضا يفوق
التصور فينظر اليها نظرة عدا . ولكن تتلاشى هذه القوة اذا ما اطلع
احد غيرك على الامر وتحقق الالهة والارواح عليك آنشد لافشاء هذ السر العظيم
فتبطش بك وتستقم منك . ويكون انتقامها لهذه الخطيئة عظيما لا تنفك فيه
الادعية والتعاوين والصلوات والتقاسيم واليكاء والتحيب والضحايا والقرايين لان
الالهة باجمها تقتاظ منك : يقتاظ منك الثالث الاعظم « انو » و « بل » و « ايل » ،
والثالث الثاني « شمش » و « سن » و « ادد » (٢) ، وكذلك مردخ واشتر
ونرجل ونبو وتشميت ونسكو وكل الالهة المعروفة وغير المعروفة (٣) وتنفق
الارواح المؤذية على صب جامات الغضب والالام والشروع عليك وتحل عليك
(١) « التماكر » او « التماكر » كلمة كانت تطلق عند البابليين على التاجر العام
اي تاجر الجملة .

(٢) كان يعتقد البابليون بالهة كثيرة ولهم طبقات مختلفة ومنازل متباينة
وينسب الى كل منهم بعض الصفات والاعمال . وفي راس كل الالهة الثالث
الاول انو و بل و ايا والثالث الثاني شمش (الشمس) و سن (القمر) و ادد
(الجو) وكان الالهة يتزوجون ويلدون ويولدون ولهم ازواج .

(٣) كان يعتقد البابليون بوجود آلهة لا يعرفونهم .

الأمراض والأوصاب (١) وتعذبك الشياطين اشكو وتيعو واخازرو ولباسو ونمتار والو وشيدو وجالو والأرواح السبعة ، ويفزعك ليلو وليلتو بظهورهما لك في الليل (٢) .

فلما سمعت تنو هذا الوعيد ارتعدت فرائصها وجمد الدم في عروقها فقالت للكاهن مالي وهذا المركب الخشن . ولم أقدم على امر فيه من المخاطر والأهوال ما يسحقني سحقاً فخذ نباتك ودعني وشأني ، وخلصني من تبعة هذا العمل . وكان قصد بيروس من هذا التهويل ان يعمل تنو على كتمان السر ليس إلا ، ولما اتس منها هذا الخوف والذعر خفف من لهجته وأخذ يصف لها الخيرات التي تنالها اذا ما نجعت في مهمتها . ووعدها بالتحرير من ربة الرق وبترجيها وبالأموال الطائلة واستمطار بركت الآلهة والآلهات وبالصحة والعمر الطويل فرضخت لطلبه وهزلت مسرعة الى بيت شمشو وسالته عن سفره متباهلة كل ما عرفته من بيروس وأوقفته على رغبة بنت خالده وقالت له : ان شميرام بانتظارك ورجعت الى سيدتها تحقق لها صحة ما سمعته من جاراتها عن امر سفر شمشو .

اختلت شميرام تملخ في الهواجس وتفكر في مصير هذا الاتفاق الجديد بين ابن عمها ووالد حترآه رقيبتها في الحب وحارت في التكهن بمآلاته لها الليالي من العجائب والفرائب سواء ربح شمشو او خسر في تجارته ، لانه ان رجع الى بابل رابحاً طمع بمصاهرته اجيبي لأعماله وتذلت العقبات القائمة في سبيل

(١) من مأثورات البابليين ان الآلهة هي التي تبعث بالآوصاب والأوجاع والآلام والتكبات والقحط والفرق وهناك ارواح خبيثة او شياطين وابالسة تبعث في الارض فسادا وتؤدي البشر .

(٢) ومن تلك الارواح (اشكو) او (اشكو) مجموع شياطين تورث امراضاً مختلفة ، و (تيمو) بسبب الصداع والحمى وغير ذلك (واخازرو) الفشاك او اليرقان (وهو مرض الصفرة) . (ولباسو) قالب الامور ظهرا لبطن و (نمتار) الطامعون (والو) (وشيدو) و (جالو) يمثلون الفتك او القوة . وكان عندهم ارواح سيئة تمك فتكاً ذريماً لا ترحم ولا تشفق وقد جاء وصفها في احدى الاناشيد وصفا يخيف . وهي لا ذكور ولا اناث : و (ليلو) وموئته (ليلتو) روحان تظهران في الليل .

زواجه بعترا . وان رجع يتشر باذيال الخبيثة وبقيت اموال الصراف في ذمته فيكون الامر على شقين آنشد فاما يفضب منه اجيبي ويستحكم التبادل بينهما واما يرضخ لتزويجه من اينته ليستعين به على الاشغال والتجارة مع البلاد النائية !! وعلى كل ففي هذا العقد الجديد نظر لانه فتح بابا لتوثيق عرى الوصل بين القليلين . ووضع اساسا لبناء هيكل الحب يضعي عليه بقلبي "

ولكن اما لي سبيل الى ان اشوش على شمشو هذا العقد وامنع من التعامل مع اجيبي فاحمل والدي على ان يدفع اليه مبلغا من المال يستعين به على قضاء وطر تجارته في بابل ويستغل بين ظهرائنا ويكون في غنى عن تجشم غساطر السفر وهجراني الى الايد وان لم اتوصل الى ذلك كله اذالي طريقة اخرى اضرب بها هذا العقد بيد سرية او قل بايات سحرية . اليد السرية ! الايات السحرية ! او هام وشعوذة !.. او ابد وخرافات ! وجر مغالمة للكهنة والسحرة والمتجمين !! إلا اني اجر بها فان نجحت تكون رمية من غير رام وان اخفقت فاني لست بمتقدمة بها والفريق يتشبث بحبال القمر ...

دخل في هذه المطاوي شامان كرادو على ابنته شميرام فنظرت اليه فرأته باسمها فاستبشرت خيرا وقالت له : اما سمعت ياوالدي بسفر ابن عمتي وتجارته الجديدة واتفاقه مع اجيبي الصراف .

فاجابها نعم ! وهذا الشاب يعرض بنفسه للاخطار ولا يشاورني . شميرام - لعل له علرا . لانه شاب وقد سلت في وجهه ابواب الرزق . ولكن علينا ان نعاونه اكراما لعمتي التي ماتت وتركنا فيها في عهدتك ياابتي . الوالد - او طلب مني مالا لما توقفت من اعطائه له من غير مئة ولكنه متكبر يحسب في الطلب مني ذلا . ومع امتناضي منه ترني حاضرا لاسواقه بان النني العقد مع اجيبي .

شميرام - هل توافق ان اقول له ذلك ان جاء لزيارتنا اليوم ؟

الوالد - نعم .

وبعد هنية جاء شمشو فرجبت به سميرام وامها وجلستا تحدثانه عن سفرة واعربتا عن اسفهما لنوى الفراق . ثم قالت شميرام ان والدي لا يرتاح

الى هذا السفر فلو عدت عنه أمذك بالمال اللازم للتجارة بين شمالي بابل وجنوبها
او لتعمير اراضي اباكك وفتح الترع والجداول فيها واتخاذ الزراعة مهنة لك .
هل انت فاعل يا شمشو ؟ فلم يحرجوا بابل اطرق واجا كأن على رأسه الطير .
فكررت السؤال عليه . فاجابها : ما كتب كتب والرجل لا يرجع القهقري بعد
ان صمم على امر من الامور وإلا كان صبيها لا يعتمد به وباقواله .
فقصت شميرام بريقها . وعلت وجهها صفرة الامتعاض . وسكتت طويلا
ثم التفتت الى والدتها وقالت لها ان والذي اعلم الناس بطبع ابن اختي . . وتركت
شمشو وذهبت متشاغلة في اطراف البيت . وهي تقول مالي إلا طريقة واحدة
لارجاع ابن عمتي عن رايه ما لي إلا السحر . ليظهر السحرة علمهم . ولتظهر
الالهة قدرتها . وقد علمت ان الساحرة « زختم » قديرة على اسر قلوب
الشباب بطلاسم ولها مواد فتانة وادعية نافذة التأثير وقطع من الصوف او
الثياب تدس بين ثياب الشاب فتغويه وتسلط عليه جنة الشغف والحب . مأزور
هذه العابدة في حبسها الملائق الهيكلي واندرع بعلمها ووسائطها لاسود على قلب
شمشو العنيد . . .

لله در من قال : « مصائب قوم عند قوم فوائد . » فما اصدق هذا الكلام
على العبد الذي تم بين شمشو واجيبي وبينما كانت شميرام تنظر اليه نظرة
متشائم وتوجس منه شرا كانت حترآ تعلق به اطيب الامل وتلوح لها منه
تبشير خير وبواد فرج . اذ تعتقد انه توطئة نجاح لزواج . ورسخ في
فهنها هذا الاعتقاد بعد ان استشارت المنجمين ومفسري الاحلام . فاكذوا لها
تحقيق غايتها . ولا سيما انها واقفة على شغف شمشو بها واتت كل الاحوال
ملائمة لرغائب قلبها .

بيد ان احد السحرة الذين استشارتهم حترآ افزعها نبوءاته وتكهناته عن
الاهوالباليلا التي يصادفها حبيها في سفر هذا واوصاها بان تزوده بالطلاسم
والرقى والتاويذ .

فاخذت طلسمًا وهو تمثال من الشبه (البرنز) جسمه جسم كلب ، ورجلاه

رجلا عقاب ، وذراعا مسلحتان بمخالب اسد ، وذئبه ذئب عقرب ، ورأسه
جمجمة صقل (هيكل عظام) وله قرنا عنزة وعلى ظهره اربعة اجنحة كبيرة
مبسوطة تلك هي صورة شيطان ريح الجنوب الغربي . التي تقي الانسان من
الارواح الخبيثة اذا ما علق على باب البيت او نوافذ .

واخنت له بعض الاحجار المختلفة الالوان المعروفة بقوتها السحرية في بابل
والتي تحفظ من النوايب والبلايا . اذا ما نظمت في خيط ولبست في العنق .
وارسلت هذه التعاويذ الى حبيبها خلصة واوصته بالاحتفاظ بها وباتخاذها
طلسمًا . فاحتفى بها لانه راي فيها ذخيرة قوة السحر والوقاية وذخيرة قوة الحب
وذكرى الحبيبة .

يوسف غنيمه

الى سعد

من نظم شوقي بك

مرثية تلحينية لينشدتها المطرب محمد عبد الوهاب
(وهي الى السامية اقرب منها الى اللغة النحسى)

أنا انتهيت انتو ابتدو يا لله الهم يا لله العمل

اتعلموا واتوحسبوا تبلغوا روعي الامل

يا (سعد) فين نور جيتك وفيين فصاحة لسانك

الحزن مالي عرينك والشرق قومه عشانك

آه من الموت آه سل الاسد من عرينه

العدل كان في حماه والحق كان في يمينه

قل للمعدو في وصفنا احنا الشبول بعد الاسد

الاتلاف في صفنا ماقيش خلاف ماقيش حسد

لغة العرب : — ناسف على ان قريحة شوقي بك قذفت بمنزل هذه الابيات
المسبوكة سبكا عاميا فانها تصم اسمه وصحة لا يزيلها من النهور . وهو بخلاف
ما ينظمه احمد زكي بك ابو شادي فانه يقر من العالمية هرب من البرم والجرب .